جمهورية العراق
وزارة الثقافة
والسياحة والآثار

التراث الشعبي

العدد - 312 - السنة - 55 - الفصل الثاني - 2021



المحتويات

الافتتاحية

أدب شعبي

مقالات

نصوص

الخريطة ودورها في دراسة وتوثيق التراث

ناسمي محمد

باحث في سلك الدكتوراه جامعة السلطان مولاي سلمان / المغرب

يعتبر العمل الخرائطي من أهم الوسائل المعنية بدراسة وتوثيق التراث، لما يتيحه من خيارات منها رصد العناصر التراثية على المجال، وتحديد توزيعها، وعقد مقارنات فيما بينها، وغيرها من الخيارات، التي تزايدت أهميتها مع التقدم الذي شهدته الخرائط في طرق تصميمها وإنتاجها خاصة مع التطورات التقنية والتكنولوجية المرتبطة بالاستشعار عن بعد، وتوظيف الحاسوب والبرمجيات... حيث تحولت الخرائط من الصيغة الورقية نحو الصيغة الإلكترونية، جعلت منها أكثر فعالية في دراسة وتوثيق التراث.

الأطالس الإلكترونية: دراسة وتوثيق التراث

للإحاطة بموضوع المقال ورفعا للبس، وتجاوزا لكل ما يدور حول الأطلس الإلكتروني خاصة والأطلس الجغرافي عامة، سأعمل على تحديد المصطلحين، من أجل تقريب القارئ من الموضوع أكثر، فمصطلح الأطلس Atlas بمعناه المتعارف عليه اليوم يعود إلى أواخر القرن ١٦م، حينما استخدمه الكارتوغرافي الألماني ميركاتور Mercator، كمسمى لمجموعة من الخرائط التي طبعت عام ١٥٩٥ م، وبالرجوع إلى معجم المصطلحات الجغرافية لصاحبه جورج بيير فالأطلس هو» مجموعة خرائط منظمة، ومصممة لتمثيل مساحة ما، تقدم موضوعا أو عدة مواضيع»[1]، ولكون هذا التعريف يغطي فقط الأطلس في صيغته الورقية، ولا يواكب تطور الأطالس الجغرافية وتحولها من

الصيغة الورقية إلى الصيغة الالكترونية، فقد جاءت عدة تعاريف لتجاوز هذا الإشكال ومنها تعريف فو وجرلاندvu and Gerland الذي يعرف الأطلس الالكتروني على أنه» مجموعة من الخرائط الرقمية وما يتبع ذلك من شروحات وجداول ومعلومات ونصوص، ويمكن أن يضم الأطلس الإحصاءات والجداول والنصوص والخرائط والرسوم والصور ومقاطع الفيديو والصوت وذلك في عرض قوي ومؤثر وفعال يمكن من التصور والتحليل الأفضل للبيانات»(٢).

وتنقسم الأطالس الإلكترونية وفقا للوظائف التي تؤديها، ووفقا لطريقة العرض، ومقدار التفاعل، والقدرة التحليلية، إلى ثلاثة أنواع هي:

- أطالس إلكترونية للقراءة والعرض:

تتصف خرائط هذه الأطالس بأنها مجرد نسخة إلكترونية تماثل خرائط الأطالس الورقية، وهي بذلك لا تدخل ضمن الأطالس الالكترونية بمفهومها العام، ويعد هذا النوع من الأطالس الأكثر انتشارا، خاصة على شبكة الانترنت، لكونها الأقل كلفة من ناحية الإنتاج، وكذلك الأكثر سهولة في الاستخدام.

- أطالس إلكترونية تفاعلية:

تعتبر الأطالس التفاعلية أكثر تطورا من النوع الأول، فهي تعطي المستخدم فرصة للتفاعل مع الخرائط ابتداء من أدنى صور التفاعل إلى التفاعل المتقدم مع الخرائط الأكثر تعقيدا، وبمعنى أدق مع قاعدة البيانات، أو ما يمثلها على واجهة الاستخدام على الخرائط.

- أطالس إلكترونية تحليلية:

يمثل هذا النوع أرقى أنواع الأطالس الالكترونية من حيث الاستخدام الالكتروني، فبجانب وظائف العرض والبحث والتفاعل، يمكن للمستخدم إجراء القياسات وحسابات البيانات واستيراد الخرائط الجديدة من قاعدة البيانات.

أهمية الأطالس الإلكترونية في دراسة وتوثيق التراث

للأطالس عامة والأطالس الالكترونية خاصة أهمية كبيرة في توفير نظام معلومات جغرافية للباحث في التراث، وذلك لكونها الوسيلة التي

تتيح له مقارنة توزيع الظواهر التراثية على سطح الكرة الأرضية، ومعرفة حدود الانتشار الجغرافي لكل ظاهرة تراثية، كما تسمح له بمعرفة مناطق الاتصال الثقافي بين الأقاليم، والتعرف على أوجه التشابه والاختلاف لكل عنصر تراثي في أماكن مختلفة من العالم، مع تتبع تطوره عبر الزمان، وكذلك تحديد العلاقات التي يربطها التراث ببيئته المحلية، وتساعده أيضا على رصد عناصر التراث المهددة بالاندثار والزوال، وإلى جانب هذه المعلومات الجغرافية وغيرها من المعلومات التي توفرها الأطالس بصفة عامة، فالأطالس الالكترونية تتيح أيضا خاصيات أخرى منها دمج وسائط متعددة كالصور، ومقاطع الفيديو، وقاعدة للبيانات، وهو ما يساعد على تكوين معرفة جيدة من خلال تكامل البيانات، كما أن دمج الأطالس الالكترونية بهذه الوسائط المتعددة يسمح بإيجاد عروض بصرية متحركة وتفاعلية تجعل من الخرائط أكثر فعالية في استخدام المعطيات، بل وتحول هذه الخرائط من مجرد وسيلة عرض إلى أداة لتحليل البيانات بسبب ارتباط الأطالس الإلكترونية بوظائف نظم المعلومات الجغرافية، وإلى جانب هذا تتميز الأطالس الالكترونية بسهولة الوصول إليها إما عبر الولوج إلى الأنترنت أو عبر تثبيتها في الحاسوب من خلال برامج حاسوبية، إضافة إلى سهولة تحيين معطياتها، وانخفاض إنتاج تكلفتها بالمقارنة مع الأطالس الورقية.

أضواء على التجارب العالمية والعربية في وضع أطالس إلكترونية للتراث

تعتبر كندا من الدول الرائدة في إنشاء الأطالس الإلكترونية حيث قامت بالتحول من إنتاج الأطالس الورقية إلى الأطالس الالكترونية، من خلال العمل على تطوير أطلسها الالكتروني في سنة ١٩٨١ م، فأصبحت بذلك أول دولة تتوفر على أطلس إلكتروني في العالم، وقد ساهم تطوير الأطلس الالكتروني الكندي، في فتح المجال أمام تطوير عدد من الأطالس الالكترونية الأخرى، مستفيدة في ذلك من الخبرات والدرس الكندي في تطوير إنتاج هذا النوع من الأطالس في مجالات متعددة، منها التراث، وهنا سنحاول أن نسوق بعض التجارب الدولية والعربية لوضع أطالس إلكترونية الخاصة بالتراث، مثل:

أطلس اليونسكو للغات المهددة بالخطر، وهو أطلس تفاعلي، ونسخة مكملة للنسخة الورقية، حيث يقدم معلومات إضافية عن اللغات المهددة بالانقراض في العالم، عبر مجموعة متنوعة من خيارات البحث

أطلس اليونسكو للغات المهددة بالخطر، وهو أطلس تفاعلي، ونسخة مكملة للنسخة الورقية، حيث يقدم معلومات إضافية عن اللغات المهددة بالانقراض في العالم، عبر مجموعة متنوعة من خيارات البحث، وتكبير الخريطة، وعند النقر على رمز من رموز الخريطة تفتح لوحة تقدم بعض البيانات عن اللغة المهددة بالانقراض المبحوث عنها، ويمكن استخدام هذا الأطلس من خلال الرابط التالي:

http://www.unesco.org/languages-atlas/index.php?hl=fr&page=atlasmap

وإلى جانب أطلس اللغات توفر اليونسكو على الرابط التالي: https://whc.unesco.org/fr/carte-interactive خريطة تفاعلية خاصة بالتراث الثقافي والطبيعي في العالم، مع تحديد عناصر التراث التي توجد في وضعية جيدة أو التي توجد في وضعية خطر، تسمح هذه الخريطة للمستخدم أيضا تحديد طريقة العرض ما بين 2D أو 3D.

وقد قامت عدة دول خاصة الدول الغربية بإنشاء عدة صفحات على مواقعها الرسمية، أو على المواقع الالكترونية للمؤسسات الرسمية، لعرض خرائط تفاعلية، أو أطالس إلكترونية، مخصصة لإظهار تراثها الوطني، مثل فرنسا التي أنشأت أطلسا إلكترونيا تفاعلياً للمواقع الأركيولوجية على موقع المتحف الوطني للأركيولوجيا على الصفحة التالية: http://archeologie.culture.fr/fr/carte-collection ، تضم خريطة للمواقع الأركيولوجية بفرنسا، وخريطة لأوراش التنقيب، وخريطة لمواقع التنقيب المدعمة، وخريطة للمواقع الأركيولوجية المغمورة بالمياه...، وإلى جانب المبادرات الرسمية لإنشاء أطالس إلكترونية، هناك عدة تجارب أكاديمية لباحثين أو لجامعات استطاعت إنشاء أطالس إلكترونية مخصصة للتراث، مثل أطلس الحضارات القديمة لجامعة هارفارد الأمريكية، الذي يسمح للمستخدم التعرف على الحضارات العالمية، وامتدادها الجغرافي في العالم، «مع عرض الفترة التي امتد خلالها حكم تلك الحضارة، [وعرض] كذلك مجموعة من المعلومات الإضافية المهمة، مثل طرق التجارة العالمية القديمة، ومسار رحلات ابن بطوطة وماركو بولو لاستكشاف العالم، ومواقع الأنهار، والصحراء والمضايق، والمدن الرئيسية، وأهم المعالم العالمية»(٢).

وهذا الأطلس الالكتروني التفاعلي

للأطالس عامة والأطالس الالكترونية خاصة أهمية كبيرة في توفير نظام معلومات جغرافية للباحث في التراث، وذلك لكونها الوسيلة التي تتيح له مقارنة توزيع الظواهر التراثية على سطح الكرة الأرضية، ومعرفة حدود الانتشار الجغرافي لكل ظاهرة تراثية، كما تسمح له بمعرفة مناطق الاتصال الثقافي بين الأقاليم، والتعرف على أوجه التشابه والاختلاف لكل عنصر تراثي في أماكن مختلفة من العالم.

متوفر على الرابط التالي: /https://worldmap.harvard.edu/maps/٥٥٦٥.

أما بالنسبة للوطن العربي فتعتبر مصر من الدول العربية الرائدة في مجال الأطالس الخاصة بالتراث، حيث تعتبر أول دولة عربية وضعت أطلسا خاصا بتراثها الشعبي وهو أطلس المأثورات الشعبية، الذي يعتبر أحد المشاريع الثقافية والوطنية المهمة، التي أنجزتها الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ١٩٩٦، وللتعريف بأطلس المأثورات الشعبية المصرية أسست له صفحة إلكترونية على موقعها الإلكتروني https://www.gocp.gov.eg/Atlas/ التي تعرض التجربة المصرية في وضع أطلس الخبز وأطلس آلات الموسيقي الشعبية، كما يعطي المشاريع المستقبلية القريبة في وضع أطلسين آخرين هما أطلس الفخار والأزياء، وهو أطلس إلكتروني من نوع أطالس للقراءة والعرض.

وإلى جانب أطلس المأثورات الشعبية المصرية، هناك بعض المحاولات الفردية هنا وهناك لإنشاء أطالس إلكترونية للتراث التي تعتبر غير كافية للتعريف بالتراث العربي الضخم والمتنوع، خاصة مع التطور الذي يعرفه العالم في مجال حوسبة الخرائط وتدني تكلفة المادية لإنشاء أطالس إلكترونية.

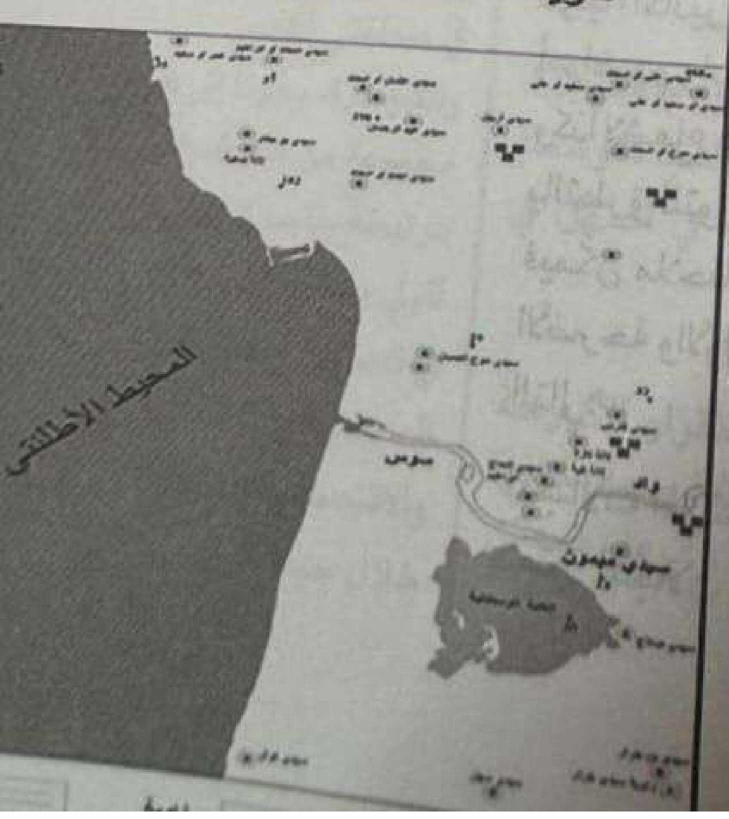
دور الخريطة الطبوغرافية في دراسة الأضرحة نموذج من المغرب

تنتمي منطقتي القنيطرة وأكادير إلى مجالين مختلفين من المغرب، حيث تقع منطقة القنيطرة شمال غرب المغرب بسهل الغرب، وبالضبط بالجهة الموجودة على ساحل المحيط الأطلسي، وهي تتميز بطابع الانبساط الشديد بدليل التباعد المهم والكبير لخطوط التسوية، وضعف قيمة نقط الارتفاع التي لا تتجاوز في كثير من الأحيان ٢ متر عن سطح الأرض.

وتأسيسا على الملاحظ من الخريطة الطوبوغرافية فيمكن تقسيم منطقة القنيطرة إلى أربع مجالات طبيعية، هي: الساحِل، الساحَل، الوادي، السهل.

أما منطقة أكادير التي تمثل منطقة التقاء بين جزء من

خريطة المقدس في منطقة أكادير



الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس، واعتمادا على بعض المؤشرات كتباعد خطوط التسوية والارتفاعات النسبية، يمكن القول بأن هذه القصاصة تمثل تضاريسيا الجبل، وتتميز المنطقة بتباين ارتفاعاتها حيث يرتفع الارتفاع شمالا حيث تتواجد جبال الأطلس الكبير، في حين تنخفض في اتجاه الجنوب حيث يتواجد سهل سوس، وانطلاقا على الملاحظ من الخريطة الطوبوغرافية لأكادير، فهي الأخرى يمكن تقسيمها إلى أربع مجالات طبيعية، هي: الساحِل، الجبل، الوادي، السهل.

إذن انطلاقا من التحليل الطبيعي نلاحظ أننا أمام تشابه في المجالات الطبيعية لمنطقتي أكادير والقنيطرة، حيث تنقسمان إلى أربع مجالات طبيعية، إضافة إلى حضور الساحِل، الواد، السهل بهما معا.

بتحليلنا للمقدس الخاص بالأضرحة فإن أول شيء يفاجئنا في عقد مقارنة بين منطقتي أكادير والقنيطرة، هو التقارب في مجموع عدد الأضرحة والأولياء بهما، والذي يتراوح بـ ٢٢ ولي وضريح بهما.

كما أن تصنيفنا للأضرحة والأولياء من الجنس، نلاحظ وجود أضرحة لوليات إناث في منطقتي أكادير والقنيطرة، كما أن عددهما متقارب في المنطقتين ٣ ولايات في منطقة أكادير هن (لالة صفية، لالة كية، لالة تازة)، وولايتين في منطقة القنيطرة (لالة ميرة، لالة عايشة).

وبمقارنتنا لأسماء وألقاب الأولياء والأضرحة بمنطقتي أكادير والقنيطرة، نلاحظ أن جميعها تحمل لقب (سيدي)، في حين يغيب لقب (مول) عن جميعها، وهو ما يحيلنا على الوظائف خاصة الدينية والاستشفائية لأولياء أكادير والقنيطرة، التي تمنحها لزوارها من الناس، من خلال إبراء أمراضهم وإبعاد سوء الحظ عنهم، وإنزال العقاب (الغيبي) بأعدائهم، وكذا لإشعاع هؤلاء الأولياء على المستوى الوطني.

بالتطرق للتوزيع الجغرافي للأضرحة والأولياء حسب المجالات الطبيعية، فيمكن ملاحظة وجود تداخل وترابط بين المجالات الطبيعية وتوزيع الأضرحة والأولياء في منطقتي أكادير والقنيطرة، وهو ما أفرز التوزيع التالي:

المجالات المرتفعة (الساحَل، الجبل):

تعتبر المجالات المرتفعة في منطقتي أكادير والقنيطرة أكثر المجالات

جذبا لاستقرار الأولياء والأضرحة، حيث بلغت نسبة أولياء الساحل في منطقة القنيطرة ٥٤ ٪، في حين بلغت نسبة أولياء جبل الأطلس الكبير الغربي في منطقة أكادير ٥٠٪، وبهذا نلاحظ أن حوالي نصف الأضرحة والأولياء في بالمنطقتين يفضلون الاستقرار في المناطق المرتفعة، أي المناطق التي لها إشراف تضاريسي على باقي المجالات الطبيعية الأخرى، وهو ما يعطي الضريح والولي هيبة وإشعاعا مجاليا أكثر وأقوى على الإنسان والمجال.

كما أن اختيار الأولياء والأضرحة للاستقرار في المناطق المرتفعة في منطقتي أكادير والقنيطرة، يجرنا إلى طرح مجموعة من الفرضيات مرتبطة بالسيرة الذاتية للولي والمقام الذي بلغه في السلوك، والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة خلال حياة الولي....

الساحِل:

إذا كانت المناطق المرتفعة قد استحوذت على أكبر عدد من الأضرحة والأولياء، فعلى النقيض من ذلك ففي المناطق الساحلية نلاحظ وجود فراغ في استقرار الأضرحة، حيث أن استقرار الأولياء في منطقة أكادير لا يمثل سوى ٩ ٪ من مجموع الأولياء والأضرحة في حين المنطقة الساحلية للقنيطرة لا يستقر بها أي ولي أو ضريح[٤].

وبهذا نلاحظ أن استقرار الأضرحة لا يحبذ التوطن في المناطق الساحلية، والتي ربما لأنها مناطق ثغورية كانت المنفذ السهل للغزاة في تاريخ احتلالات المغرب، كما يحيل هذا الاستقرار على غياب الدور القيادي في الجهاد للولي.

كما أن اختيار الأولياء والأضرحة للاستقرار في المناطق المرتفعة في منطقتي أكادير والقنيطرة، يجرنا إلى طرح مجموعة من الفرضيات مرتبطة بالسيرة الذاتية للولي والمقام الذي بلغه في السلوك، والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة خلال حياة الولي....

السهل:

تعتبر منطقة السهل في استقرار الأضرحة بكل من أكادير والقنيطرة، منطقة بينية في هذا الاستقرار، حيث نجد أنها تعرف نسبا متوسطة من الاستقرار، حيث بلغت نسبة الأولياء والأضرحة في السهل في القنيطرة ٣٧٪، أما في منطقة أكادير فبلغت ١٨٪.

الوادي:

يعرف الوادي نسبا ما بين ضعيفة ومتوسطة في استقرار الأضرحة بكل من أكادير والقنيطرة، حيث بلغت نسبة استقرار الأضرحة بجانب وادي سوس ٢٣٪، في حين لم تتجاوز هذه النسبة ١٦٪ على ضفتي وادي سبو.

والمثير إلى الاهتمام في الاستقرار أن أغلب الأضرحة تفضل الاستقرار على الضفة اليمنى لواد سوس ووادي أبي رقراق، وهو ما يحيل إلى رمزية اليمين في المعتقد الاسلامي.

كما أن عددا من هذه الأضرحة هي أضرحة لها مواقع بينية، حيث فضلت مجموعة من الأضرحة أن تتخذ مواقع التقاء واتصال بين مجالات طبيعية عدة، وهي تمثل حوالي النصف من مجموع الأضرحة بمنطقتي أكادير والقنيطرة.

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن منطقتي أكادير والقنيطرة هما منطقتين متشابهتين في مجالاتهما الطبيعية، حيث يتكونان من أربع مجالات طبيعية، هي؛ الساحِل، الجبل، الوادي، السهل، هذا التشابه لعب دورا رئيسيا في استقرار الأضرحة وتوزيعها الجغرافي إضافة إلى توزيعها النوعي حسب الجنس، وبالتالي وجود نمط خاص بجغرافية المقدس الضرائحي بالمنطقتين، كانت أوجه التشابه فيه أكثر من أوجه الاختلاف.

غير أن تحليل الخريطة الطوبوغرافية يبرز لنا أهمية الظروف السياسية والتاريخية في تحديد هذه الجغرافية، وفي الأخير يمكن القول إن خريطتي أكادير والقنيطرة تبرز لنا نموذجا للمجالات الطبيعية ودورها في توجيه الاستقرار وتوزيع الأضرحة في جزء من المغرب.

المصادر:

١- جورج بيير (٢٠٠٢) معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة حمد طفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ص ٦١.

٣- محمود فهمي حجازي (٢٠٠٩) الأطالس الإلكترونية: المفاهيم، الخصائص وطرق التصميم والنشر، والتطورات، والاتجاهات الحديثة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ع ١، جدة، ص ١٢١.

٣- خرائط رقمية تفاعلية تعرض ملامح العالمين القديم والمعاصر، جريدة الشرق الأوسط، الثلاثاء - ١٧ شوال ١٤٣٨ هـ - ١١ يوليو ٢٠١٧ م، رقم العدد ١٤١٠٥.

٤ - الراضي محمد، محاضرات في جغرافية المغرب، كلية الآداب بني ملال، الموسم الجامعي ٢٠٢٠/٢٠٢١.